

**المُبَشَّرُونَ فِي الْقُرْآنِ**

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين . اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمتنا ، اللهم علِّمنا ما ينفعنا وزدنا علمًا ، وأصلح لنا شأننا كله . نسأل الله عز وجل أن يبارك لنا أجمعين في ليلتنا هذه ، وأن يجعل ما نسمعه فيها حجةً لنا لا علينا وأن يصلح لنا أجمعين شأننا كله وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيما .

أيها الأحبة الكرام : لقاؤنا في ليلتنا هذه في هذا الملتقى عن موضوعٍ جديرٍ بالعناية والاهتمام ، وعنوانه كما سمعتم «المبشَّرون في القرآن» ، وكلنا يعلم -معاشر الأحبة- أنَّ «البشارة» و«البشرى» كلمة حبيبة إلى النفوس ، كلمة لها شأنها ووقعُها الكبير في القلوب ؛ ولهذا كم يسعد المرء عندما يلقاه أخوه ويقول "أبشِّرك ، أو أبشر ، أو عندي لك بشارة ، أو لك عندي بشارة" ، فالكلمة لها وزن ولها قيمة ولها وقع كبير جدًا على قلوب الناس ، والكل يتحرى البشارة ويطمع في نيلها ، كم في قلب المرء من الآمال والمنى والرغبات التي يطمع أن يكون له البشارة بتحصيلها .

وقد عرَّف العلماء رحمهم الله البشارة بأنها : إخبار المرء بأمرٍ يسرُّه ويُفرحه ويُدخل على قلبه السعادة والأنس ، حتى إنَّ ما قلبه من سعادة يظهر على بشرته ، ولأجل هذا قيل إن البشارة سميت بهذا الاسم لأن أثر الفرح بها يظهر على البشرة أنسًا وسعادة وسرورًا . وأحيانا تلقى أخاك ودون أن يتكلم تعلم أنه مسرور لما تراه في أسارير وجهه وما يظهر على بشرته من السرور . وهذا الأمر نفسه يحدث عند البشارة ؛ يتهلل الوجه وتبدو أساريره فرحًا وبِشرًا وأنسًا وسعادة . الحاصل أن البشارة لها شأن عظيم جدًا ومكانة علية في النفوس .

وأبدأ محاضرتي هذه بدعوة للجميع؛ أسأل الله عز وجل أن يبشركم جميعًا بكل خير وسعادة وفلاح في الدنيا والآخرة .

القرآن الكريم كتابٌ عظيم ، كيف لا وهو وحي الله وتنزيله ؛ أنزله سبحانه وتعالى سعادةً للبشر وفلاحًا للعباد وزوالًا للشقاء والعناء والنكد ، {طه (1) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى}[طه:1-2] أي إنما أنزلناه عليك لتسعد ، {فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى}[طه:123] أي يسعد . فالقرآن كتاب سعادة وكتاب هداية وكتاب فلاح وكتاب رفعة في الدنيا والآخرة وفي الوقت نفسه هو كتاب بشارة، ولهذا تجد هذه الكلمة العظيمة تتكرر في القرآن الكريم في مواطن عديدة ، بل وُصف القرآن بهذه الصفة: بأنه بشرى للمؤمنين ، بشرى للمسلمين ، وأنه يبشِّر ؛ بهذا وُصف في كتاب الله عز وجل في مواطن عديدة منه .

قال الله عز وجل: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا }[الإسراء:9-10] ، وقال في أول سورة الكهف: { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (2) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا }[الكهف:2] ، وقال سبحانه وتعالى في نعت هذا القرآن ووصفه: { تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ }[النحل:89] ، وقال أيضا سبحانه وتعالى في وصف هذا القرآن: { قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ }[البقرة:97] والآيات في هذا المعنى كثيرة .

فالقرآن الكريم كتاب بشرى كتاب بشارة ، وهذا يتطلب من قارئ القرآن أن يتدبر هذا المعنى في القرآن الكريم ، والله يقول : { أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ }[النساء:82] ويقول: { أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ }[المؤمنون:68] ، ويقول: { كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ }[ص:29] ؛ فمن المعاني العظيمة الجليلة الكبيرة التي جاءت في القرآن الكريم البشارة ، ولهذا فإنه جديرٌ بالمسلم أن يقف على هذه البشائر التي في القرآن الكريم ، وأن يتأمل في الآيات المبشِّرات في كتاب الله سبحانه وتعالى ، وأن يجدد في قلبه الطمع أن يكون من هؤلاء المبشرين في كتاب الله عز وجل . ولهذا فإن أهم ما ينبغي على المسلم أن يعيه في هذا الباب ؛ أن يعرف الأمور والأعمال التي يكون المرء بسببها من أهل هذه البشائر التي في كتاب الله عز وجل . وعندما تقرأ القرآن تجد أن هذه الكلمة العظيمة تمر عليك كثيرًا في القرآن ؛ فقف متأملا في هذه البشائر ، واحرص على أن تكونه من أهلها .

أول بشارة تطالعها وأنت تقرأ كتب الله عز وجل تأتيك في أوائل سورة البقرة ؛ قول الله سبحانه وتعالى: { وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (25) } ؛ نسأل الله الكريم لنا أجمعين من فضله .

تأمل معي هنا في هذه البشارة ؛ المبشِّر : هو الرسول عليه الصلاة والسلام ، فتأمل في جلالة المبشِّر وعظم مكانته ومنزلته صلوات الله وسلامه عليه ، وتأمل في الوقت نفسه في عظمة من أرسله بهذه البشارة رب العالمين جل جلاله ؛ فهذه بشارة يحملها الرسول عليه الصلاة والسلام جاء بها ، والآمر له لها الله جل وعلا سبحانه وتعالى ، والمبشَّر به أمرٌ عظيم للغاية يحقق في النفوس الطامعة في الخير والفلاح والسعادة فرحًا عظيما وأنسًا كبيرا وسرورًا ، لأن هذه البشارة بشارةٌ بأمرٍ تحصل فيه لذة البدن بالجنات وما فيها من النعيم ، وتحصل لذة النفس بالأزواج المطهرة ، والأزواج المطهرة يتناول زوجة المرء الصالحة في هذه الحياة الدنيا تكون في الآخرة بهذا الوصف ، ويتناول أيضًا الحور العين . وتحصل أيضا لذة القلب بأنه بُشِّر أن هذا النعيم نعيمٌ خالد أبدي ، بخلاف نعيم الدنيا ،كثيرا ما يحصِّل المرء في دنياه أشياء يفرح بها لكن سرعان ما يدخل عليه شيء من الألم أو النكد خشية أن تزول منه وأن تذهب ، وهذا شأن نعيم الدنيا لا يبقى لصاحبه أو صاحبه لا يبقى له ، فإما أن يزول عن صاحبه أو أن يزول صاحبه عنه ، لكن الفرحة بنعيم الآخرة ونعيم الجنة فرحة نعيمٍ خالد أبد الآباد وقرة عين لا تنقطع دائما وسرورٌ دائم لا يخشى المرء أن يلحقه فيه نكد أو ما يكدِّره أو ما يجعله يتخوف من زواله فهو نعيم لا يحول ولا يزول . فانظر البشارة كيف حوت هذه المعاني العظيمة الجليلة

ثم بماذا تنال؟ بأمر يسير ذُكر في الآية: { الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } ؛ ولهذا تجد في القرآن الكريم في مواطن {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} ، فهي بشارة متعلقة بهذا الأمر وتُنال بهذا السبب وهو الإيمان والعمل الصالح ؛ الإيمان: أي بالله سبحانه وتعالى وبكل ما أمر عباده بالإيمان به ، والعمل الصالح: بفعل الطاعة ولاسيما فرائض الإسلام وواجبات الدين العظيمة التي افترضها الله سبحانه وتعالى على عباده .

وأما الأصول التي هي أصول الإيمان ودعائمه العظام التي تُنال به هذه البشارة فقد ذكرها الله عز وجل في مواطن منها : قوله تعالى في سورة البقرة { لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ}[البقرة:177] ، وقال في خاتمة السورة: { آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ(285}، قال الله عز وجل في سورة النساء: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (136) } ؛ هذا الأصل الذي تقوم عليه هذه البشارة والركيزة التي لا قيام لها إلا عليها ؛ الإيمان بالله وبكل ما أمر الله سبحانه وتعالى بالإيمان به . فهذه قاعدة البشارة التي عليها تُبنى ، ثم من بعد ذلك العناية بالعمل الصالح ويأتي في مقدمة ذلك فرائض الإسلام الكبار وواجبات الدين العظيمة وخاصة الصلاة والزكاة ، قال الله عز وجل في أول سورة النمل: { طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ (1) هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (3) } فذكر من أوصافهم سبحانه وتعالى إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والإيمان باليوم الآخر .

وسبحان الله!! الإيمان باليوم الآخر أمره عجب في نيل هذه البشارة { وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}[البقرة:223] ؛ عندما يكون في قلب المرء دومًا وأبدا أنه سيلقى الله وأنه يقف بين يدي الله سبحانه وتعالى وأن الله عز وجل يحاسبه على ما قدَّم في هذه الحياة من أعمال يُحدِث له هذا خوفًا واستعدادًا وتزودًا لذلك اليوم . ولهذا من يؤتى كتابه باليمين يوم القيامة عندما ينطلق وبيده صحيفته أخذها بيمينه يقول: { هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (19) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ }[الحاقة:19-20] يعني كنت في الدنيا أعتقد أنني سأحاسَب وأني سأقف بين يدي الله وأن الله عز وجل سيحاسبني على أعمالي، كنت أعتقد ذلك وأؤمن به وكان هذا يُحدِث في نفسي عملا وطاعة واستعدادًا لذلك اليوم ، { وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ}[البقرة:197].

وتقوى الله عز وجل أساس عظيم في نيل البشارة ، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى في سورة يونس { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (64)} . تأمل { لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} وهذا موطن جدير بأن تتأمله ؛ ما هي البشرى التي تكون للمؤمن التقي في الحياة الدنيا ؟ وما هي البشرى التي تكون للمؤمن التقي في الدار الآخرة ؟ الله يقول: {لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} يعني لهم بشارتان : بشارة في الدنيا وبشارة في الآخرة .

والتفسير للبشارة في الدنيا بيِّن من خلال النصوص التي وردت في هذا الباب ؛ جاء في الصحيح أن نبينا صلى الله عليه وسلم سئل عن الرجل يعمل العمل الصالح فيحمده الناس عليه أي يثنون عليه خيرا "ماشاء الله فلان كذا وفلان كذا وكذا" يثنون عليه ، قال عليه الصلاة والسلام: ((تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ)) هذا داخل في الآية {لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} ؛ ((تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ)) يُذكر عند الناس بالخير . والعبرة في هذا المقام بأهل الصلاح والدين والاستقامة أن يُذكر عندهم بالخير يثنون عليه خيرا ويذكرون أعماله يقولون : "فلان ما شاء الله ما تفوته تكبيرة الإحرام ، فلان ما شاء الله عظيم العناية بالصلاة ، فلان ما شاء الله عظيم العناية بالنفقة بالصدقة".. هو لم يعمل من أجلهم ، هو عمِل تلك الأعمال لله لكن عاجل بشرى المؤمن الذكر الحسن يذكره الناس بالخير ويثنون عليه بالخير .

وجاء أيضا في الصحيح أن عبادة بن الصامت رضي الله عنه سأل النبي عليه الصلاة والسلام عن قوله جل وعلا { لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} فقال عليه الصلاة والسلام : ((هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُؤْمِنُ أَوْ تُرَى لَهُ))؛ أيضا هذا من عاجل البشرى أن يرى المؤمن في المنام ما يؤنسه ويبشِّره ويسره ، أو يلقاه أخاه ويقول رأيت في المنام أنك كذا وكذا بما يسُر ، فهذا أيضا من عاجل بشرى المؤمن .

وأيضًا من عاجل البشرى في الحياة الدنيا : أن يجد المرء نفسه منشرحة للخير والطاعة ويُسر بالطاعة ومنقبضة عن الشر ومتجافية عنه ؛ فهذا أيضًا من عاجل البشرى ، قد جاء في الحديث الصحيح أن نبينا صلى الله عليه وسلم قال: ((وَمَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ)) ؛ سرته حسنته: يجد في قلبه انشراح للحسنة وللطاعة ، ويجد نفسه مقبلة ، ويجدها في الوقت نفسه منقبضة عن المعاصي والشر والفساد ؛ فهذا من عاجل بشرى المؤمن .

كذلك من عاجل بشرى المؤمن الداخل في قوله { لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} : البشارة التي تكون للمؤمن عندما تأتي ملائكة الموت لقبض روحه { قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ }[السجدة:11] ، عندما يأتي ملك الموت لقبض روحه قبل أن تُقبض روحه يبشَّر وهو داخل في قوله { لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } ، قد جاء في الحديث أنه إذا جاء ملك الموت تنزل ملائكة وهم ملائكة الرحمة ويكونون عن الميت مدَّ البصر ، فإذا قبض ملك الموت روحه لم يدَعوها في يده طرفة عين ويضعونها في حنوطٍ من الجنة . وجاء أيضا أنه يقال : «أبشر بروح وريحان ولقاء رب غير غضبان» يبشَّر بذلك ؛ وهذا المعنى دل عليه القرآن في قول الله سبحانه وتعالى { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ(30) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (31) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ}[فصلت:30-32] نسأل الله الكريم من فضله . تتنزل الملائكة أي بهذه البشائر «لا تخاف ، ولا تحزن، وأبشر». ومن التنزل ما يكون عند قبض الروح ، عند قبض روح المؤمن تأتي الملائكة تبشِّره وتطمئنه وتُدخل على قلبه سرورًا فتُقبض روحه وهو فرِحٌ مسرور ؛ وهذا الذي يفسِّر ما قد يراه الناس في بعض من عرُف بالصلاح ، يرونه وهو ميت مقبوضة روحه يظهر عليه البِشر والضياء والأنس والراحة لأن روحه لم تُقبض إلا وقد بُشِّر ودخل على نفسه الفرح والسرور والأنس بالبشارة العظيمة .

قال: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62)الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63)}[يونس:64] هؤلاء هم أهل البشارة ؛ الإيمان والتقوى ومر معنا في الآية المتقدمة {وَعَمِلُوا الصَّالِحَات} ، ولهذا يقول ابن القيم في كلام عظيم له في بعض كتبه : إنَّ مدار نيل البشارة في آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام على أمورٍ ثلاثة - تدور البشارة في أسباب نيلها على أمور ثلاثة- الإيمان ، والتقوى ، والعمل الصالح . والعمل الصالح هو الذي يجمع وصفين : إخلاص للمعبود ، ومتابعة للرسول عليه الصلاة والسلام . فعلى هذه الأمور الثلاثة تدور البشارة في القرآن وسنة النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

ثم تجد في القرآن في مواطن أيضًا عديدة منه تفاصيل في البشارة تتعلق بأعمال الإيمان وما يدعو إليه الإيمان ؛ فمثلا : الصبر من الإيمان ، والصبر عندما تنزل بالمرء مصيبة هذا من أسباب نيل البشارة {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ(155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} [البقرة:155-157] ، ولهذا يقول عليه الصلاة والسلام : ((عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)) ، فالمؤمن صابرٌ في ضرائه شاكرٌ في سرائه ، في السراء يفوز بثواب الشاكرين ، وفي الضراء يفوز بثواب الصابرين ، فهو فائز في كلتا الحالتين .

تجد أيضا في التفاصيل البشارة للمخبِت {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[هود:23] ، جاءت البشارة العظيمة لهم في سورة الحج { وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (34) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ } ؛ هذه أعمالهم ولهذا في القرآن حديث كثير عن أعمال أهل البشارة .

فالمسلم جدير به أن يقف عند تلك الأعمال وعند تلك التفاصيل ثم يجاهد نفسه على التحلي بتلك الأوصاف حتى يكون من أهل البشارة . اقرأ على سبيل المثال في قول الله سبحانه وتعالى في سورة التوبة يقول الله عز وجل: {التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ} بماذا ختم الله الآية ؟ ختمها بقوله {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ(112)} ؛ وهذا فيه أن الأوصاف المذكورات في الآية هي أوصاف أهل البشارة ؛ التوبة والعبادة والحمد والسياحة - السياحة أكثر السلف فسرها بالصيام ، وبعضهم فسرها بالسفر في طاعة وعبادة من حج أو عمرة أو طلبٍ للعلم- والركوع والسجود يعني العناية بالصلاة والمواظبة عليها ركوعًا وسجودًا ذلًا لله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحفظ لحدود الله تعلمًا للدين وتفقهًا فيه وعملًا بحدود الله سبحانه وتعالى ، يحفظ حدود الله علمًا وعملا .

وهذا فيه أن الدين له حدود لابد أن يلتزمها المؤمن حتى يكون من أهل البشارة . ولعل مما يوضح ذلك الحديث الذي في المسند وغيره حديث النواس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ، وَعَلَى جَنْبَتَيْ الصِّرَاطِ سُورَانِ -يعني جداران مستقيمان باستقامة الصراط - فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ ، وَعَلَى الأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا وَلاَ تعوجوا ، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ ، فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ ، قَالَ : وَيْحَكَ لاَ تَفْتَحْهُ ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ ، ثم فسر ذلك قال : وَالصِّرَاطُ الإِسْلاَمُ ، وَالسُّورَانِ : حُدُودُ اللهِ ، وَالأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ : مَحَارِمُ اللهِ ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ : كِتَابُ اللهِ ، وَالدَّاعِي مِنِ فَوْقَ الصِّرَاطِ : وَاعِظُ اللهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ)) . إذًا حدود الله سبحانه وتعالى تُحفظ فيلتزِم الصراط المستقيم بحدوده ومعالمه ومناراته ولا ينحرف ولا يعوج لا يمين ولا يسار ، ولهذا مر معنا في الآية الكريمة {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}[الأحقاف:13]، { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ}[فصلت:30-32] ، {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ}[هود:112] ، والآيات في هذا المعنى كثيرة .

في القرآن الكريم حديثٌ عن هذه البشارة ، وحديثٌ عن مكانتها العظيمة ، وحديثٌ عن الأعمال التي تنال بها هذه البشارة ، وما هذا اللقاء والحديث الذي ألقيه على مسامعكم -معاشر الكرام- إلا فتح بابٍ لنا أجمعين لنتأمل في هذا الموضوع العظيم ونقف عند آيات البشارة في كتاب الله عز وجل تدبرا وتأملا ومجاهدة للنفس على تحقيقها والإتيان بها حتى نكون من أهل هذه البشارة العظيمة بالجنات والرحمة والرضوان وسعادة الدنيا والآخرة . {يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ}[التوبة:21] ؛ فهذه المعاني العظيمة والبشائر ينبغي أن تتحرك نفس المسلم شوقا إليها وطمعًا في أن يكون من أهلها ومجاهدة للنفس على العمل بالأعمال التي تُنال بها هذه البشارات ، ويسبق ذلك الفقه في دين الله ، يتعلم حدود الله ، يتعلم شرع الله ، يجعل للعلم الشرعي وقتًا من حياته تفقهًا وتبصرًا حتى يكون من أهل هذه البشائر .

أسأل الله عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا الذي يسَّر لنا هذا الاجتماع أن ييسِّر لنا سلوك سبيل المبشَّرين بكل خير ورفعة في الدنيا والآخرة ، وأن يجعلنا من أهل البشارة بالخير في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، وأن يهدينا إلى هذا السبيل المستقيم ، وأن يسلك بنا هذا الطريق القويم ، وأن يجعلنا من عباده المتقين الذين لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

وأشير أيضا إلى أمرين :

* أن البشارة جاءت في القرآن لأهل الإيمان مطلقة ومقيدة ؛ المقيدة كقوله { وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}[البقرة:223] ولم يذكر المتعلَّق ، والقاعدة عند العلماء : أن حذف المتعلق يفيد العموم ، فالآيات التي تقرأ { وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ }[البقرة:223] { وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ }[البقرة:155] { وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ }[الحج:34] { وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ }[الحج:37] ولا يُذكر بم يبشرون يفيد العموم ، بمعنى أنها بشارة مطلقة عامة تشمل كل خير في الدنيا والآخرة . وأحيانا تكون البشارة مقيدة ؛ البشارة بالجنات ، البشارة بالمغفرة ، البشارة بالرضوان ، وكل من هذا وهذا هو من ثمار الإيمان ومن ثمار تقوى الله سبحانه وتعالى .
* الأمر الآخر: أن البشارة تأتي في القرآن في جانب آخر غير الذي نتحدث عنه ، تجد في بعض الآيات { فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [آل عمران:21] ، تجد في القرآن {بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}[ النساء:138] ، {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}[التوبة:34] تأتي البشارة في مثل هذا السياق، ومن أهل العلم من يقول : إن اطلاق البشارة هنا هو على سبيل التهكم بهؤلاء ، وقيل إن البشارة هي الإخبار بما يظهر على البشرة أثر ، فإن كان بشارةً بخير يظهر فرحًا على بشرته وإن كان بشارة بشر وسوء يظهر على وجهه أثر ذلك ، وأما البشارة عند الإطلاق فهي لأهل الإيمان ، لكن البشارة المقيدة تأتي بما قُيدت به مثل {فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} ، أما أهل الكفر وأهل النفاق ليس لهم بشارة ، ولهذا في سورة القرفان قال الله عز وجل: { يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا (22)} ؛ لا بشرى لهم وهذا لا يتنافى مع قوله {بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ} أو { فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} لأنه لا بشرى لهم يعني يوم يلقون الملائكة لا يلقون الملائكة بشيء يسُر وإنما يلقون الملائكة وهم يحملون عقوبة الله وغضبه وعقوبة الله وانتقامه من هؤلاء .

الحاصل أن المؤمن عليه أن يجاهد نفسه على تقوى الله والبُعد عن مساخطه ، وأن يجاهد نفسه على نيل رضاه سبحانه وتعالى ليكون من أهل البشارة . أسأل الله عز وجل أن يحقق لنا أجمعين ذلك ، وأن يحقق لنا كل خير ، وأن يصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأن يصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأن يصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا ، وأن يجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، والموت راحة لنا من كل شر ، وأن يغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات إنه تبارك وتعالى سميع الدعاء .

وبالسلام بدأنا وبه نختم ، والسلام كما يقول ابن القيم رحمه الله تعالى هو نفسه بشارة -سبحان الله- وهذا معنى قد نغفل عنه ، السلام نفسه هو بشارة ، بشارة من الله سبحانه وتعالى يلقى المسلم دوما أخاه بها ، «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» هذه بشارة بالسلامة والرحمة والبركة مادام المرء على هذا الدين ومن أهل طاعة رب العالمين ، فالمسلمون يلقى كل واحد منهم أخاه بهذه البشارة وخيرهم الذي يبدأ بها كما قال عليه الصلاة والسلام ((وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ)) . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .